المراتب الدلالية للآيات
في القرآن الكريم

م. ضياء علي عبد الرضا

جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الكلمات المفتاحية: المفهوم والمصداق،علوم القرآن، المجمل والمفصل والمقيد، ترتيب الآيات، الامام المعصوم

مستخلص البحث

أنّ للآيات في القرآن الكريم مستوياتٍ دلاليةً متفاوتةً في مراتبها، ولا بد ان يكون للمفهوم الوارد في الكتاب المسطور مصداقٌ لها على ارض الواقع في المنظور فكان الكتاب المسطور للآيات المدونة بالأحرف وكان الكتاب المنظور بالآيات المصدقة بصور مشهودة حية، ولم يعُرف للآيات مستوى دلالي أعلى مرتبةً وأكمل مصداقاً في الوجود من الانسان المهتدي بُهداها والمطبّق لمقتضى محتواها، فالعامل المكلّف العارف بأحكامها المُنزّلة والمؤوّلة كما ينبغي لأوامرها ونواهيها تتحول الآيات به مع الزمن من مستواها الظاهر الصامت الى مستواها الباطن الناطق الحي، وبذلك يكون الانسان المؤمن هو اعظمُ آية من آيات الله، والى هذا المعنى فسر أهل البيت عليهم السلام بعض الآيات القرآنية المسطورة بالإمام المعصوم لأنه الصورة الكاملة المجسدةُ للقول بالعمل والمُشخّصةُ للمفهوم بالمصداق من أجل ان يحيا الانسان بالقرآن حياة الهدى في واقع حياته المشهود لا بالمفهوم المُعلق بالهوى.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد المنان على خلقه بنعمة البيان المتجلي بآياته المحكمة الكاشفة بنورها كل ظلمة وتمام الصلاة والسلام على خير من عرف الله ووحّده وأطاعه وعبدهَ محمد وال محمد الحجج على الناس أجمعين والباقية الى يوم الدين .

اما بعد:

فقد جاء بحثي في الآيات القرآنية والوقوف على بعض دلالاتها وأسرارها بالنظر الى اهميته العلمية والايمانية التي لا يستغني عنها أحد ما دام يؤمن بالله واليوم الآخر، وقد استوعَبت دراستي المتواضعة فيه فصلين اثنين:

فأما الفصل الأول فقد تضمن الدلالة اللغوية والاصطلاحية للآيات واختيار شواهد مناسبة من الآيات الظاهرة والباطنة ودلالاتها كما وردَتَ في كتب التفسير ويليها الوقوف عند آيات الكتاب المسطور وآيات الكتاب المنظور بالشواهد الكافية في كتب التفسير.

ولإعراب الآيات أثر في الدلالة فكان أن تطرقتُ لشيء من اعراب بعض الشواهد من الآيات وتوجيه الدلالة في ضوء الاعراب ثم الوقوف عند تأويل الآيات تعريفاً واستشهاداً ببعض الشواهد.

أما الفصل الثاني فقد تطرقتُ فيه لبحث الآيات بين الاجمال والتفصيل والتقييد وذكرت الشواهد في غير آيات البحث لتكون دليلا على ورود هذ المستويات الدلالية القرآنية في القرآن الكريم ثم ذكرتُ الشواهد المتعلقة بالبحث. وكان لابد من الوقوف على المحكمات والمتشابهات في القرآن الكريم فذكرتها بالتعريف والشاهد وبعض التعليق ثم يلي ذلك مبحث بين الآيات والتأويل ويليه مبحث بين الذكر والآيات كما ورد في الروايات الشريفة من العلاقة الوثيقة بينهما تفصيلاً وتقييداً، ولما كان في كل الآيات القرآنية مجمل ومفصل ومقيد في الدلالة فكثير من الآيات لا يعرف تقييدها إلّا بالسنة النبوية المطهرة وكلام المعصومين عليهم السلام، وهذا ما تطرقت له بالشواهد الكافية من الاحاديث الشريفة وكلام المعصومين عليهم السلام.

فإن على وفقت للصواب من الرأي؛ فمن الله وتوفيقه، وإن لم أُعلى وفق فمني وهذا ما يليق بالإنسان وعقله القاصر الذي لا يستغني عن توفيق الله وتسديده. والحمد لله رب العالمين وصل الله على محمد وآله الطاهرين.

الفصل الاول :

- **الدلالة اللغوية**
- **الدلالة الاصطلاحية**
- **الآيات الظاهرة**
- **الآيات الباطنة**
- **آيات الكتاب المسطور**
- **آيات الكتاب المنظور**
- **اعراب الآيات**
- **تأويل الآيات**

الدلالة اللغوية

ورد في لسان العرب الآية: العلامة وزنها فعلة في قول الخليل وذهب غيره الى ان اصلها أييَه فَعْلة فقبلت الياء الفاً لانفتاح ما قبلها وهذا قلب شاذ، كما قلبوها حاري وطائي الا ان ذلك قليل غير مقيس عليه والجمع آيات وآي وآياء جمع الجمع نادر قال:

لم يبق هذا الدهر من آيائهِ غير اثافيه وأرمدائهِ

وأصل آية أَوَية بفتح الواو، وموضع العين واو، والنسبة اليه أووي وقيل اصلهما فاعله فذهبت منهما اللام او العين تخفيفا، ولوجاءت تامة لكانت آبيةً وقوله عز وجل : ((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ)) قال الزجاج معناها نريهم الآيات التي تدل على التوحيد في الآفاق اي الآثار آثار من مضى قبلهم من خلق الله . وتأيّا الشيْ : تعتمد آيته اي شخصه . وآية الرجل شخصه . ابن السكيت وغيره : يقال تآيَيْتهُ على تفاعلته وتأيَيْتهُ اذ تعمدت آيته اي شخصه وقصدنه . قال الشاعر :

الحصن ادنى لو تأييتهِ من حثكِ التربَ على الراكبِ

يروى بالمد والقصر قال ابن بري هذا البيت لامرأة تخاطب ابنتها وقد قالت لها :

يا أُمّيَّ ابعترني راكبَ يسير في مسحنفرٍ لاحبِ

ما زلتُ احثوالتربَ في وجه عمداً واحمي حوزة الغائبِ

فأجابتها أمُها بالأبيات المذكورة.

وشاهد تأيَيْته قول لقيط بن يعمر الايادي([2]) :

أبناء قومٍ تأيوْكم على خَنَقٍ لا يشعرون أضرّ الله ام نفعا

والآية من التنزيل ومن آيات القرآن الكريم قال أبو بكر الآية من القرآن آية لا نها علامة لانقطاع كلام من كلام ويقال سميت الآية آية لأنها جماعة من حروف القرآن وآيات الله عجائبه . وقال ابن حمزة الآية من القرآن كأنها العلامة التي يُفُضى منها الى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة للهداية

كما قال : اذا مضى عَلَمٌ منها بدا عَلَمُ، والآية العلامة، والآية العبرة وجمعها آي : الفراء في كتاب المصادر : الآية من الآيات والعِبَر . سميت آية كما قال تعالى: ((لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ))، اي امور وعبر مختلفة، وانما تركت لعرب همزتها كما يهمزون كل ما جاءت بعد الف ساكنة لأنها كانت فيما يرى في الاصل أيّة فثقل عليهم التشديد فأبدلوه الفاً لانفتاح ما قبل التشديد كما قالوا أيما المعنى اِما وكان الكسائي يقول : انه فاعلة منقوصة، قال الفراء : لو كان كذلك ما صغّرها اِيَيَّة بكسر الالف . وقوله عز وجل: ((وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً)) ولم يقل آيتين لان المعنى لكليهما معنى آية واحدة وقال ابن عرفة لان قصتهما واحدة وقال ابو منصور :

لان الآية فيهما معاً آية واحدة وهي الولادة دون الفحل وقال ابن سيدة لو قيل آيتين لجازَ لأنه قد كان في كل واحد منهما ما لم يكن في ذكر ولا انثى من انها وِلَدت من غير فحل)) ([3]).

وخلاصة ما تقدم ان الآية هي العلامة الدالة على الشيء، وفي القرآن الكريم تطورت الى البرهان والعِبْرة في بعض الآيات الواردة على ان فيها بحثاً يطول كما سيتبين واضحا في ما سيأتي ان شاء الله .

الدلالة الاصطلاحية

ان المفهوم المتعارف عليه للآية يصرف الذهن الى دلالته القرآنية المهيمنة التي دلّتْ عليها الآيات الواردة في القرآن الكريم بمعنى المعجزة فكل شيء دل على الأبداع المنقطع النظير يسمى آية . فمن التكلف ان نفرق بين الدلالة الاصطلاحية والدلالة القرآنية بل انهما شيء واحد ولهذا يمكن ان يصطلح على الآية بالمعنى الوارد في القرآن الكريم وهي المعجزة وهذي دلالة واحدة من دلالات كثيرة ثبتها القرآن الكريم في وجدان المسلم وذاكرته اليومية بما يقرأ اويسمع من الآيات المسطورة المقترنة بواقع حياته في كل حين ولهذا اصطلح على الامر العجيب الذي فيه شيء من الابداع آية ومرد هذا المفهوم الراسخ في وجدان وذاكرة الانسان المسلم وغير المسلم هوالقرآن الكريم. ومن الصعب تعريف اسم جامع مانع للآية في دلالاتها الاصطلاحية لأنها متعددة في مصاديقها التي سياتي بيانها عند بحث تفسير الآيات القرآنية الكثيرة . فهي المعجزة كما في قوله تعالى:((وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ))[4]وهي العبرة كما في قوله تعالى :((فاليوم ننجّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية))5

وتعني الحجة في قوله تعالى ((سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ))[6]

وتعني الموعظة في قوله تعالى : ((كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ))[7] وهي الدلالة على كمال القدرة الالهية في قوله تعالى ((إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ))[8]

وهي الدلالة على التوحيد في قوله تعالى ((ولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنً))[9]

وفسرت الآيات بالملك جبرائيل عليه السلام في قوله تعالى : ((قَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ))[10] وهي القرآن الكريم بمعنى الاعجاز البياني كما في قوله تعالى : ((قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقرآن لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا))[11].

الآيات الظاهرة

في القرآن الكريم آيات يمكن معرفتها وتشخيصها بالعين الباصرة ومنها :

اولا : ((قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) (البقرة 18)

ثانياً : ((سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) (البقرة 211)

ثالثا : ((وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) (الانعام 37)

رابعا : ((وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا)) (الاسراء 12)

خامسا : ((وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ)) (الذاريات 20)

سادسا : ((قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)) (المائدة 114)

سابعاً : ((وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)) (الانعام 25)

ثامناً : ((وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)) (الاعراف 132)

تاسعا : ((وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمرٌ)) (القمر 2)

عاشراً : ((ولقد آتينا موسى تسعَ آياتٍ بيناتٍ فاسأل بني اسرائيل اذ جاءَهم فقال له فرعون انّي لأظُنُّكَ يَا موسَى مسحورا)) (الاسراء 101) .

احد عشر : ((انّ في السموات والارض لآياتٍ للمؤمنين)) (الجاثية 3)

اثنا عشر : (وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) (الاسراء 59)

ذكر المفسرون في هذه الآيات الدلالة الظاهرة للآية وهي المعجزات ذات العلائم والبراهين المحسوسة والمواهب والنعم الإلهية الملموسة كاليد البيضاء والعصى والبحر والأرض وتحول التراب الى ماء والماء الى تراب لإثبات صحة النبوة وانها من الله سبحانه وتعالى بالمفهوم الحسي للمعجزة الظاهرة في العيان، ففي الآية الاولى[12] يبين الله العلامات الدالة على المعجزة وفي الآية الثانية[13] المعجزات المتفق عليها ويفهمها الخواص والعوام اما في الآية الثالثة[14] فهي طلب الكافرين المنكرين من رسولهم ان يأتي بالآيات المعجزات التي لا يشكون فيها برؤية البصر وهي العلامات الخارقة للمألوف عندهم وكذلك سائر الآيات الظاهرة التي لا يختلف عليها الكافرون وغير الكافرين عند مشاهدتها بالعيان .

فالآية الاخيرة كما يقول ابن كثير([15]) هوطلب المشركين المعجزات والخوارق للعادة التي تُرى بالعين الباصرة، وفي الرواية قالت قريش للنبي ادع لنا ربك ان يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك قال : اوتفعلون ؟ قالوا : نعم قال: فدعا فاتاه جبريل فقال : ان ربك يقرؤك السلام ويقول لك ان شئت اصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا اعذبه احداً من العالمين فنزلت الآية المباركة مارة الذكر: ((وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا))

الآيات الباطنة

وفي القرآن الكريم آيات لا يمكن معرفتها بالعين الباصرة وانما يمكن الاستدلال عليها ومعرفتها بالبصيرة ومنها :

أولا : ((إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ))[16]

ثانيا : ((لقد كان في يوسُف واخوته آياتُ))[17]

ثالثا : ((سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ))[18]

رابعا : ((ان في ذلك لآية للمؤمنين)) (الحجر 77)

خامسا : ((ان في ذلك لآية لقومٍ يعقلون)) (النحل 67)

سادسا : ((... كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) (يونس 24)

سابعا : ((بَلْ هُو آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ)) (العنكبوت 49)

ثامنا : ((أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)) (الكهف)9

تاسعا : ((سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي انفُسهم حتى يتبين لهم انه الحق)) (فصُلت 53)

عاشرا : ((وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)) (النمل 93 .)

احد عشر : ((كلا انه كان لآياتنا عنيدا)) (المدثر 16)

اثنا عشر : ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) (الروم 21)

ثلاث عشرة : ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ)) آل عمران 190

ففي الآيات المذكورة دلالات لا تعرف الا بعد التفكر مثل الدلالة على الوحدانية والدلالة على القدرة الالهية والتدبير الغيبي الذي لا يكون عند البشر، وكل آية ورد فيها التعبير ((ان في ذلك لآيات)) وهي متكررة في سورة الشعراء تدخل في الآيات الباطنة وهي الصورة غير المرئية في الآيات الظاهرة يتوصل اليها بالتفكر والتأمل .

وفي الآية الاخيرة التي ينبغي ان يتفكر فيها اولو الألباب[19] وهي آياتٍ ظاهرة كالسماء والارض والليل والنهار ولكن عند التفكر تتجلى في باطنها آياتٌ تراها البصائر كما تتجلى الآيات الظاهرة التي تراها الابصار وهناك آيات تُشير الى ان هناك من الآيات ما سيكشُفه الزمن بتقدم العلم والمعرفة الذي يكشف كل يوم بعض اسرار عالم الوجود فتُعرف نعم الله وعظمة قدرته وعمق حكمته يوماً بعد يوم .

آيات الكتاب المسطور

ويقصد بها الآيات المنزلة على صدر الرسول والمعبر عنها بلسان عربي مبين مكتوب بأحرف اللغة المعروفة والمدونة في كتابٍ معلوم، وهذا المعنى ينطبق على جميع الآيات المحصورة بين الدفتين وجاءت قرائن لفظية دلت عليها بما لا يقبل الشك ولا يحتاج الى التأويل ومن الشواهد عليها :

اولا : ((ما ننسخ من آية اونُنسها ناتِ بخيرٍ منها اومثلها)) (البقرة 106

ثانيا : ((تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ)) البقرة 252

ثالثا : ((هو الذي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)) ال عمران 7

رابعا : ((ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم)) ال عمران 58

خامسا : ((اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سُجداً وبُكيّا)) مريم 58

سادسا : ((اذا تُتلى عليهم آياتنا بيِّنات ...)) مريم 73

سابعا : ((وكذلك انزلناه آياتٍ بينات)) الحج 15

ثامنا : ((طسم تلكَ آياتُ الكتاب المبين))الشعراء 1

تاسعاً : ((الر كتاب أُحكمت آياته ثم فصُلت)) هود1

عاشراً : ((الر تلك آيات الكتاب الحكيم)) يونس 1

احد عشر : ((حم والكتاب المبين)) الدخان 1

اثنى عشر ((طسم تلك آيات القرآن وكتابٍ مبين)) النمل 1

ففي تفسير الآية الأولى المذكورة أعلاه ورد عن أئمة أهل البيت يعني موت إمام وقيام إمام آخر مقامه. [20]

ويتبين مما تقدم من الشواهد القرآنية للآيات الكريمة ان آيات الكتاب المسطور هي تلك التي تقرأ وتكتب وتستنسخ وتتلى في سطور ذات مقاطع يمكن فصلها عن بعض ويكاد يجمع المفسرون كُلهم ان لفظ الكتاب المقصود به القرآن وحتى الضمير في الآية السابعة يعود للقرآن الكريم .

وفي الآية الاخيرة اعلاه الاشارة بتلك الى آيات السورة مما ستنزل بعد وما انزلت قبل[21] والتعبير باللفظ الخاص بالبعيد للدلالة على رفعة قدرها وبعد منالها والقرآن اسم للكتاب باعتبار كونه مقروءا وقد ورد في بعض التفاسير وصفه بالصفتين يعني الكتاب والقرآن ليُفيد انه مما يظهر بالقراءة ويظهر بالكتابة وهو بمنزلة الناطق بما فيه من الامرين جميعا ووصفه بانه مُبين تشبيها له بالناطق [22] انتهى .

ويُستفاد من هذا التفسير الدلالات المسطورة للقرآن كما تقدمت شواهدها والدلالات المنظورة كما سيأتي الحديث عنها، ويبدوان المفسر يُريد هذه المراتب في الدلالات التي يمكن ان يعبر عنها بالقرآن الناطق، فالقرآن كتاب مقروء مُدون والكتاب المبين الذي لاشك فيه هو الامام المعصوم ويؤيد ذلك بعض الروايات المأثورة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام الذين طالما تكلموا بهذا المعنى المنظور الحركي للقرآن الكريم .

آيات الكتاب المنظور

ويقصد بها الدلالات المحسوسة المجسَّدة بأشخاص معلومين يظهرون في الجوارح ويترجمون المفاهيم بالمصاديق، اي في التعبير الوارد في الكتاب الناطق يتحول الى صورة مرئية محسوسة تمشي على الارض .

ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك :

اولا : ((قالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُو عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا)) مريم 21

ثانيا :((وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ))المؤمنون50

ثالثا : ((مَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ)) الروم 10

رابعا ((وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ))يس46.

خامسا((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ))فصلت53

سادسا : ((وقل الحمد لله سيُريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافلٍ عما تعملون))النمل 96

سابعا : ((أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)) الكهف 9

ثامنا : ((سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ))الاعراف 146

تاسعا : ((وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)) الاعراف 156

عاشرا:(والذين يسعون في آياتنا مُعاجزين اولئك في العذاب مُحضرون)) سبا38

احد عشر:((ومن اظلم ممن ذُكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انّا من المجرمين منتقمون))السجدة 22

اثنا عشر: ((الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين)) الحجر1

ثلاث عشرة : ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ)) يونس 71

وهذه الآيات الكريمة دالة على تجسيدٍ للمفهوم في شخص معلوم في الدين وله حقيقة منظورة. وفي الآية العاشرة من سورة الروم المذكورة تجلٍ واضح لهذه الدلالة المنظورة وقد سُمعت هذي الآية على لسان[23] الحوراء زينب عليها السلام وهي تخاطب يزيد لعنه الله وهومن كان يمثلُ في ظاهره الاعتقاد بالإسلام خليفة للمسلمين المؤمنين بالقرآن والناطقين به والمتشرفين بقراءة آياته وتقديسها وهنا يطرح السؤال نفسه .

اذن ما المقصود بالاستهزاء بآيات الله وماذا تقصد الحوراء وهي تستشهد بهذه الآية المتضمنة مفهوم الاستهزاء بالآيات؟ على ان الاستهزاء الوارد في القرآن الكريم هواستهزاءٌ بالرسل والانبياء كما قال تعالى ((ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون)) الانعام 10

فالاستهزاء اذن مقرون بالأشخاص المجسدة بالأنبياء والمرسلين وهذا يؤيد كون الآيات الواردة في القرآن الكريم هي الأشخاص المنظورة لا النصوص المسطورة، وللتأمل في بعض التفسيرات الواردة في روايات اهل البيت يمكن الوصول الى التفسير الصحيح لحقيقة المراد فقالوا في تفسير هذه الآية وامثالها ((ان الذنب والاثم على روح الأنسان كالمرض الخبيث فيأكل ايمانه ويعدمه ويبلغ الامر حداً يُكذب الأنسان فيه آيات الله وابعد من ذلك اذ يحمل الذنب صاحبه على الاستهزاء بالأنبياء والسخرية بآيات الله))[24]

وفي التفسير الكاشف25 جاء: يعني جاءتهم رُسلهم لينقذوهم من الضلالة والغواية فأمعنوا بالإساءة إليهم تكذيباً واستهزاء

وفي الآية المذكورة ((وما تأتيهم من آية من آيات ربهم .. قال بعض المفسرين المُراد بإتيان الآيات مُوافاتُها لهم بالمشاهدة وهي اولى من ان تكون آية آفاقية او انفسية او تكون آية معجزة كالقرآن[26] .

وفي الآية الاخيرة من سورة النمل ((وقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)) ربط بعض المفسرين هذه الآية بالتي قبلها من السورة ذاتها وهي ((واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تُكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون))النمل82، ففي الرواية ان امير المؤمنين كان نائما في المسجد فابصره الرسول صلى الله عليه وآله وقال له[27] ((قم يا دابة الارض اشارة الى هذه الآية حتى ان بعض اصحاب الامام الصادق سال الامام ما معنى تُكلمهم هل هي من الكلْم الجرح فقال الامام بل من الكلام [28]، يعني الخطاب الذي يكون بين البشر عادة وهذا يعني ان الآيات هنا هي آيات منظورة مجسدة بشخص الامام . اما في الآية الاخيرة

المذكورة اعلاه ((الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين)) ذكر بعض المفسرين[29] : آيات الكتاب وآيات قرآن مبين تعني قرآن مميز بين الحق والباطل،كأنما يريد ان يقول المفسر هوقرآن ناطق يفرق بين الحق والباطل وهذا لا يكونُ الا للإمام بعد الرسول لان الكتاب المسطور عاجزٌ عن التعريف بالحق، والحقيقة ولا يستطيع النطق الا ان تنطق عنه الرجال، ولو كان المقصود قرآنا مبيناً هو هذا المكتوب في السطور المستور بين الدفتين لما تردد الامام امير المؤمنين في التوقف عن القتال في يوم صفين لما رفع اهل الشام المصاحف خدعةً مُدبرة ولكنه يعلم علم اليقين ان هذا الكتاب المرفوع المسطور على الرماح لا يقدرُ على الابانة وقد بين الامام ذلك في خطبة مذكورة مشهورة يقول فيها : ((إنا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولابدّ له من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال)) [30]

وهذا تعريفٌ واضح للكتاب الوارد في الآية ((هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون))الجاثية 29 ، فالكتاب المقصود هنا هوالتُرجمان الناطق عنه ويؤكد هذا المعنى الآية التي تليها بمعنى الاستنساخ للعمل في سورة مرئية لا صورة مكتوبة .

وعند التأمل بهذه الشواهد المتقدمة وهي قليلٌ من كثير يتبين من الآيات الباطنة المجسَّدة بالإنسان لها ما يدل عليها واضحاً في القرآن الكريم نفسهِ فاذا كان عيسى عليه السلام آية وامه آية والانبياء آيات فما المانع من ان ينطبق هذا المعنى القرآني على شخص الأنسان المؤمن المعصوم المشهود له بالاستقامة عند الله ورسوله ؟!!

وفي الآية المذكورة اعلاه ((... فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة...))الأعراف 156 قال بعض المفسرين اي سأكتب رحمتي واقضيها واوجبها، واستعيرت الكتابة للإيجاب لان الكتابة اثبت واحكم ((والذين هم بآياتنا يؤمنون)) الأعراف 156 اي يُسلمون لما جاءتهم من عند الله من الآيات والعلامات سواء اكانت معجزة كمعجزات موسى وعيسى عليهما السلام اواحكاما سماوية اوكالأنبياء أنفسهم.

أثر الاعراب في دلالة الآيات

بالنظر الى دقة التعبير القرآني فلا بد من تأثيره في الدلالة التي لا تقبل الزيادة والنقصان فزيادة الحرف في الآية القرآنية او نقصانه يترتب عنها زيادة اونقصان اواختلاف في الدلالة وخيرُ دليل على اثر الأعراب في الدلالة هي آية الوضوء ((ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوعَلَىٰ سَفَرٍ أَوجَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَو

لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (المائدة)6

فكان الاختلاف[31] في اعراب هذه الآية قد ادى الى الاختلاف في الدلالة وهذا الاخير ادى الى الاختلاف في الحكم الشرعي فكان المعنى هو دليل الاعراب والاعراب هودليل الحكم الشرعي في الوضوء

اولا : اسناد الآيات الى ضمير الغائب .

ثانيا : الآيات المجردة من الضمائر .

ثالثا : اضافة ضمير المتكلم الى الآيات .

وفي هذا التنوع في الاعراب ينتج عنه فرق في الدلالة وهذا ما اشار اليه بعض المفسرين بالشاهد الصريح . ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى ((وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) الشورى43

فقالوا يعني على الظلم والاذى. وفي قوله تعالى : ((وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) لقمان17.

قالوا يعني من المحن والاذى[32] . وعند تدبر الآية الاولى نجد ان المراد بالصبر على الظلم الذي يقع على الصابر المظلوم وهذا يقتضي تحمل كبير مضاعف لان المظلوم يبقى يعاني الآماً نفسية وهي اشد من الآلام الجسدية التي يصبر عليها الصابر وهو المراد في الآية الثانية وهنا يكمن الفرق بين دلالة الآيتين الذي نتج عنه زيادة في اللفظ بحرف التوكيد اللام في الصبر على الآلام النفسية وبدون الحرف في الصبر على الآلام الجسدية . وفي قوله تعالى ((وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم)) آل عمران 7 . اختلف المفسرون في دلالة الواو هنا منهم من قال انها استئنافية ومنهم من قال انها عاطفة وكلٌ ينطلق من منطلق عقيدته.

وذكر لفظ الآية المفردة والجمع مجردة من الاسناد الى الاسماء والضمائر حوالي مائة وستين مرة وتدور دلالاتها في الآيات الظاهرة والصامتة باستثناء بعض الآيات التي لا يتجاوز عددها اصابع اليد ويقرب من هذا العدد عدد الآيات المسندة الى الضمير المفرد والجمع للفظ الجلالة وكلا تدور في دلالة الآيات الباطنة والناطقة وبعض الآيات التي لا يتجاوز عددها اصابع اليد وهنا يُلاحظ تساوي الآيات الظاهرة والباطنة من جهة الذكر بالعدد.

كما يُلاحظ في الآيات المسندة الى ضمير واسم لفظ الجلالة التهديد والوعيد ونزول العقاب الشديد في الأمم المكذبة وسيتبن هذا في البحث والنظر المتأمل في تفسير الآيات التالية:

اولا : ((وما تأتيهم من أية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين)) الانعام 4

ثانيا : ((وَلَو أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ)) طه134

ثالثا : ((والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم)) المائدة 10

رابعا : ((فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ)) الاعراف 72

خامسا : ((قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ))طه 126

سادسا : ((سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي انفُسهم حتى يتبين انه الحق))فصلت 53

سابعا : ((كلا انه كان لآياتنا عنيدا)) المدثر 16

ثامنا : ((وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ))النمل 93

تاسعا : ((ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا))الكهف9

عاشرا : ((وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ)) النمل82

احد عشر : ((وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)) لأعراف 156

ومن الآيات المضافة الى لفظ الجلالة

اولا : ((وتلك آيات الله نتلوها عليك بالحق)) البقرة 252

ثانياً ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ))يونس 71

ثالثا : ((ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين))البقرة 61

رابعا ((ولا تتخذوا آيات الله هزوا)) البقرة 231

خامسا ((ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب)) ال عمران 19

سادسا ((وتَقُولُوا لَو أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ)) الانعام 157 .

والملاحظ نزول العقاب السريع على الكافرين بآيات الله التي يُستهزأ بها والاستهزاء وارد في القرآن الكريم بآيات تُخبِرُ عن الاستهزاء بالرُسل يعني بالشخص المعلوم بصفات بشرية كما في قوله تعالى ((يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسولٍ الا كانوا به يستهزؤون)) (يس30)

وعلى ذلك يترجح معنى الآيات الباطنة على الآيات الظاهرة والكتاب المنظور على الكتاب المسطور في الاستهزاء

ففي الآية الاولى دلالة ظاهرة ودلالة باطنة فأما الدلالة الظاهرة فالمقصود بها آيات الكتاب المسطور واما الدلالة الباطنة فالمقصود بها الكتاب المنظور كما ورد في بعض الروايات التي أوّلت نسخ الآية بموت الامام ومجيء الامام التالي بعده [33] .

تأويل الآيات

للتأويل اثر بارز في البحث الدلالي للآيات والوصول الى حقيقة المراد منها . ومن الباحثين الدارسين في علوم القرآن من عدّهُ من التفسير ولا يفرق بينهما، ويرى اخرون ان التأويل له تعريف مختلف يدور حول المعنى الباطن للآية وما تؤول اليه من دلالات تتحقق على ارض الواقع. ويرى بعض الباحثين ان التأويل من باب الاجتهاد يرجعُ الى اجتهاد العلماء وهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل اي صرف اللفظ الى ما يؤول اليه فالمفسر ناقل والمؤول مستنبط[34]

وللنحو العربي دورٌ في التأويل لان كثيراً من تأويلات النحويين[35] يدور في فلك المعنى ولدى التأمل في آيات القرآن الكريم يتجلى للتأويل وجهان .

الاول : الآيات التي دلت على وجود التأويل على انه حقيقة قرآنية مقطوع بها ولا بد لها من التحقيق على ارض الواقع ويأتي هذا التحقيق في مراحل زمنية متأخرة من عصر التنزيل الى اليوم، ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك((هل ينظرون الا تأويله))الاعراف 52 وقوله تعالى ((بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله)) يونس39.

الثاني : الآيات التي دلت على وجود التأويل على سبيل الاحتمال والدلالة الظنية التي يرجى فيها الوصول الى الدلالة القطعية وتتعدد الاقوال في ذلك وقد تأتي غير مطابقة للدلالة القطعية الثابتة والتي دلّ عليها القرآن نفسه والآيات القرآنية الدالة على ذلك هي :

اولا : قوله تعالى : ((فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوالْأَلْبَابِ)) آل عمران7

ثانياً : قوله تعالى ((ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) النساء 59

ثالثاً : قوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خيرٌ واحسن تأويلا))الاسراء 13

رابعا : قوله تعالى ((وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث))يوسف 6

خامساً : قوله تعالى ((ورفع ابويه على العرش وخروا له سُجداً وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي ...))يوسف100

وفي ضوء آيات **الوجه الاول** للتأويل يتجلى ان((لكلمة التأويل معنى يمكن استنباطه من القرآن الكريم هو تفسير معنى اللفظ والبحث عن استيعاب ما يؤول اليه المفهوم العام ويتجسد به من صورة ومصداق))[36]

وفي ضوء آيات **الوجه الثاني** يتجلى بعد التدبر والنظر الدقيق فيها ان للتأويل دلالات مختلفة لا يمكن القطع بها وتتفاوت في نسبة مطابقتها للواقع ولهذا ((اضيف التأويل الى الرد الى الله والرسول والى الكتاب اخرى والى الرؤيا والى الوزن بالقسطاس المستقيم))[37]

وخلاصة هذا المبحث هو أن نرجح هذه الآيات المذكورة هم الاشخاص الذين لهم القدرة على حمل مفاهيم الآيات بمعنى المصداق لا المفهوم المعلق بالهواء وتعني الصورة الحركية الناطقة لا الصورة النظرية الصامتة الجامدة ولا يوجد احد في تاريخ الاسلام قال بهذا المعنى الا الامام المعصوم ومن قبل ذلك نطق به رسول الله صلى له عليه وآله في الحديث المشهور اهل بيتي والقرآن لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض وسُمع الامام امير المؤمنين عليه السلام يقول عندما رفع اهل الشام المصاحف المسطورة ذات النسخ للقرآن الصامت الجامد ((ان هذا القرآن بين الدفتين لا ينطق وانما ينطق عنه الرجال .....))[38] وكان يدعوأصحابه الى مواصلة القتال حتى تمام النصر ولكنهم توقفوا امام هذا القرآن المرفوع على الرماح ولم يسمعوا كلام الامام فقدموا القرآن الصامت على القرآن الناطق، وقد انخدعوا ولم يفلحوا.

الفصل الثاني

- **الآيات بين الاجمال والتفصيل والتقييد**
- **الآيات المحكمات والمتشابهات**
- **بين الآيات والتأويل**
- **بين الذكر والآيات**
- **الآيات المقيدة بالسنة النبوية وكلام المعصومين عليهم السلام**

الآيات بين الاجمال والتفصيل والتقييد

1- المجمّل[39] هو ما يتناول جملة اشياء اوما ينبى عن الشيء على وجه الجملة دون التفصيل فهو لا يمكن ان يعرف المراد به حتى يفُصل ويقيد .

2-المُفصّل[40] : هوما يتولى عملية الكشف الابهام المعنوي الذي في المجمل .

3-المُقيد[41] : هو يأتي ليُعيَّن به المراد دون تردد وهو عند المفسرين يردُ لإزالة الاشتراك الدلالي الواقع في الخطاب من اجل الوقوف على معنى مشخص بلحاظ الاطلاق والتقييد في النص القرآني .

في ضوء هذه التعريفات وردت في القرآن الكريم آيات في المجمل والمفصل والمقيد بل ان القرآن نزل بالآيات على مراتب ومن الشواهد على ذلك :

1-الآية ((صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم)) الفاتحة7

2-ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن اولئك رفيقا))النساء 69

3-((واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبيا)) مريم 41

وللتأمل في هذه الآيات نرى المعنى المجمل للذين انعمت عليهم معنى المجمل مبهم في الآية الاولى وفي الثانية تفصيل وتوضيح للمبهم المجمل وفي الثالثة تشخيصٌ وتقييدٌ لهذا التفصيل بأسم معلوم يعرفه السامع على وجه اليقين دون ان يتردد اويشك في معرفته طرفة عين وعلى ذلك نزلت الآيات القرآنية التي هي موضع بحثنا ومنها :

اولا : الآيات التي ورد فيها المُجمل

1- ((وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ...)) 146 الاعراف
2- ((ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه)) 7 الرعد
3- ((وما كان لرسول ان يأتي بآية الا بأذن الله)) 78 غافر

هذه الشواهد هي قليل من كثير فيها المعنى الإجمالي للآية الذي لابد من تفصيله وتقييده وقد صرّح القرآن الكريم بذلك في آية معلومة وهي قوله تعالى ((قد فصلنا الآيات لقومٍ يفقهون)) 98 الانعام، وقوله تعالى ((قد فصلنا الآيات لقومٍ يعلمون))97 الانعام

ثانيا : الآيات المعنى فيها الوارد مفصلا

1- ((وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حباً)) يس33
2- ((وآية لهم الليل نسلخ منه النهار)) يس 37
3- ((وهو الذي انزل من السماءِ ماءً فأخرجنا ....)) 99 الانعام
4- ((والسحاب المسخر بين السماء والارض)) 194 البقرة

ومن الآيات الواردة[42] في المعنى المجمل

((والذين كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين))الاعراف 146

((ولقد ارسلنا رسُلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسولٍ أن يأتي بآيةٍ الا بأذن الله فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هُنالك المبطلون))غافر 78

وهذي الشواهد قليل من كثير ورد فيها المعنى الاجمالي الذي لابد من تفصيله وتقييده وقد صرح القرآن في التفصيل بآية معلومة كقوله تعالى : ((قد فصلنا الآيات لقومٍ يفقهون)) الانعام 97

ومن الآيات الواردة في المعنى المفصل هي :

((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ))البقرة164

((وآية لهم الارض الميتةُ احييناها واخرجنا منها حباً فمنهُ يأكلون)) يس 33

((وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون))يس 37

((وَهو الذي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))الانعام 99 .

وهذه الشواهد قليل من كثير ورد في المعنى المفصلِ كما هو واضح في النصوص المذكورة .

ومن الآيات الواردة في المعنى المُقيد هي :

((صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين))الفاتحة7

((ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحُسن اولئك رفيقا)) النساء 69

((واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً)) مريم 41

يتبين من الشواهد المذكورة ان في القرآن مجمل ومفصل ومقيد ففي الآية الاولى مجمل الذين انعم الله عليهم وفي الثانية مفصل الذين انعم الله عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وفي الثالثة مقيد المجمل والمفصل بشخص معلوم وهو النبي ابراهيم على نبينا وآله وعليه السلام

وقد يأتي المقيد احيانا في السنة النبوية المطهرة كما ورد في تعريف الصراط والكتاب على انهما امير المؤمنين والامام المعصوم.

ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى ((هذا صراط عليّ مستقيم)) الحجر41، فقد ورد في تفسيره عن الامام الصادق عليه السلام: قال هو والله علي. [43]

وقال عليه السلام هما صراطان: ((صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فأما الذي في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واهتدى بهداه مر على الصراط في الآخرة وهو جسر احد من السيف وادق من الشعرة على وادٍ من نار مستعرة لا يعلم الا الله عمقه وقعره))[44]

وفي قوله تعالى ((الم ذلك الكتاب لا ريب فيه))البقرة 1، بإسناده الى ابي بصير عن الصادق ع قال الكتاب عليٌ لا شك فيه))[45]،وفي قوله تعالى ((قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)) [46]الرعد

عن الامام الصادق عليه السلام قال يعني علي بن ابي طالب.

وقال رسول الله صلى الله عليه والله ستكون بعدي فتنة مُظلمة الناجي منها من تمسك بالعروة الوثقى فقيل يا رسول الله وما العروة الوثقى؟ قال ولاية سيد الوصيين، قيل ومن سيد الوصيين؟ قال : امير المؤمنين، قالوا ومن امير المؤمنين ؟ قال : مولى المسلمين وامامهم بعدي، قيل يا رسول الله من مولى المسلمين وامامهم بعدك ؟ قال :هو علي بن ابي طالب فمثله ومثل الائمة المعصومين من بعده مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وهلك))[47]

وعلى هذا الاساس المتين والتأويل الواضح المبين يمكن القول ان المعنى المقيد فيه القرآن ينحصر في شخص الامام امير المؤمنين فهوالعروة الوثقى ومقيد الآيات المجملة والمفصلة. وهكذا يتبين لكل ذي نظر سليم ان الحاجة الى القرآن الناطق المنظور هي المقصودة في طيات الحديث المذكور الذي دل على الدعوة الى التمسك بمقيد القرآن عند اشتداد فتن الزمان وهذا المعنى الدقيق ليس يُعرفُ الا بالاعتقاد والتمسك بحبل الله المتين وامام الحق المبين بالمعنى الذي يُقيد به مجمل ومفصل الدين في اشخاصِ معلومين وائمة للهدى معصومين.

الآيات المحكمات والمتشابهات

لمعرفة المحكم والمتشابه اهمية بالغة في البحث الدلالي للآيات فقد يُفهم من المتشابه المعنى المخالف للمراد فيخرج به عن الاصل في الدلالة وينبغي قبل كل شيء تحديد التعريف الاصطلاحي للمحكم والمتشابه فقيل

المحكم: ((هو ما لا تعرض فيه شبه من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، والاحكام يوصف به الكلام اذا كان ذا دلالة واضحة بحيث لا يحتمل وجوها من المعاني))[48]

اما المتشابه: فهو اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني وكان موضع ريب وشبهة ومن ثم فهو يصلح للتأويل الى وجه صحيح يُصلح للتأويل الى وجه فاسد، ولأجل هذا الاحتمال وقع مطمع اهل الزيغِ والفساد))[49]

وقد كثرت الآراء في المحكم والمتشابه فقالوا فيما قالوا: الآيات الناسخة هي المحكمة والآيات المنسوخة هي المتشابه وآيات الاحكام هي محكمات في القرآن وسواها متشابهات.

والآيات المحكمات هي التي لها تأويل واحد بينما الآيات المتشابهات تحتمل وجوه متعددة لتأويلها، وتقسيم الآيات الى محكمات ومتشابهات خاص بآيات القصص فالآيات التي بينت بشكل واضح اخبار الرُسل واممهم هي الآيات المحكمات، اما الآيات التي تكررت في سور متعددة واشتبهت الفاظها ومحتواها بشأن سيرة الانبياء فهي المتشابهات. والآيات المحكمات هي الآيات الام والمرجع في القرآن ولهذا وقع الانحراف في الأمة الإسلامية في اتباع المتشابه من غير الرجوع الى محكمه واصبح المحكم المشتبه به في المتشابه موضع تطبيق وعمل وطال عليه الامد ويمكن الوقوف على من يقول ان المحكم هو المبين (المفصل) والمتشابه هوالمجمل ولعل في بعض الروايات اشارة الى ما اوردناه في هذا القول، ففي تفسير العياشي سئُل الامام الصادق عن الامحكم والمتشابه قال عليه السلام)) المحكم ما يعُمل به والمتشابه ما يشبه بعضه بعضا))[50] وفيه عن مسعده بن صدفه المتشابه ما اشتبه على جاهله، وعن الامام الرضا عليه السلام ((من رد متشابه القرآن الى محكمه هُدّيّ الى صراط المستقيم، ثم قال في اخبارنا متشابه كما تشابه القرآن فردوا متشابهها الى محكمها فلا تتبعوا متشابهها فتضلوا))[51] ((وعن بعض المحدثين ان التشابه من اوصاف المعنى الذي يدل عليه اللفظ وهو كونه بحيث الانطباق عن المقصود وعلى غيره)) [52]

وهذا يعني ان القرآن كُله محكم عند الامام وليس فيه متشابه ويكون كُله متشابه عند الجاهل وبذلك يتبين المعنى المُراد من قوله تعالى : ((الر كتاب أُحكمت آياته ثم فُصلت من لَّدُنْ حكيم خبير)) هود 1). وفي الآية الله نزل الحديث كتابا متشابها مثانيَ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جُلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يُضلل الله فماله من هاد)) (الزمر 23). فالقرآن مُحكم من جهة ومتشابه من جهة ثانية، وفيه المتشابه وفيه المُحكم بالنسبة الى درجات الجهل والمعرفةِ به عند الناس الذين لا يزالون مُختلفين كما صرّح القرآن نفسه بهذه الدلالة في التفاوت بالفهم والادراك .

بين الآيات والتأويل

القرآن الكريم له لغته الالهية ولها شفرات والشفرات يمكن ان تحل عند اهل البيت يقولون لنا العلم الباطني وهو تأويل الآيات والكشف عما في داخلها وحركة واحدة في تشكيل الكلمة يغير المعنى : الذِكر القرآن، والذَكر الرجل كما هو واضحٌ في الآية ((فَاتَّقُواْ اللَّهَ يا أُوْلِي الأَلْبابِ الَّذِينَ آمَنُواْ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَّسُولاً يَتْلُوعَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِّتَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَا)) (الطلاق 10). فالرسول هو شخصٌ معلوم بالوجود البشري المادي المعروف يسميه القرآن ذكرًا بالمعنى المفصل .

اما مقيد الرسول فهومحمد بن عبد الله الذي لا شك طرفة عين في حقيقة وجوده وعلى هذا تُحمل الآية ((قال فبما اغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم))الاعراف 16

ولو رجعنا في هذه الآية (لأقعدنَّ) الى طبيعة كلام العرب وبلاغتهم المشهودة لاصطدمنا في القاعدة النحوية للفعل قعد فالثابت انه لازم وليس متعدٍ، نعم يكون متعدياً بزيادة الهمزة مثله مثل(جلسَ اللازم وأجلَسَ المتعدي، وقام اللازم واقام المتعدي) ولكن من السهل ان نتجاوز هذه الاشكالية النحوية بتوجيه الفعل من اللازم الى المتعدي وهو ما يكون اولى ببلاغة القرآن الواضحة وتيسيره في التبليغ فاذا وجهنا الآية لأُقعدنَّ وهو جائز في كلام العرب حينئذٍ يكون اقعاد الصراط المستقيم عن القيام وصفة القيام والقعود هي صفة البشر وليس صفة الطرق الثابتة وفي ذلك روايات مُستفيضة . كما جاء عن اهل البيت في تفسير الآية (هذا صراط علي مستقيم) الحجر 42 فسر الامام السجاد[53] بأمير المؤمنين علي بن ابي طالب وعلى هذا الاحتمال في توجيه الآية يستقيم المعنى الموافق لبلاغة العرب في لغة التخاطب بينها المعروفة .ويدخل في ذلك: بحث الآيات المجسدة والمشخصة بإنسان والذي يؤكد انه ليس الآيات المسطورة بل هو من فعل الانسان ذي الجوارح كما في الآيات التالية ((واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه)) فصلت 51

2- ((ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها))الكهف 56

3-((ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكة)) طه124

4-((وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوأَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)) القصص 55

5- ((فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين)) الحجر 94

6-((خُذِ الْعَفْو وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)) الاعراف 199

7-((فاعرض عنهم وانتظر فانهم منتظرون))السجدة 30

8- ((فاعرض عمن تولى عن ذكرنا)) النجم 29

ونستفيد من ان فعل الاعراض الوارد في هذه الآيات هو فعل متعلق بكائن حي اي بمعنى ينطبق على الانسان الذي له جوارح لابدّ ان تصدّق بأفعال حركية وليست بأشياء ساكنة اما مصداق هذه الآيات الحركية كما دل على ذلك الواقع التاريخي فهم محمد وآل محمد الذين اعرضت الامة عنهم بعد وفاة الرسول بما هو ثابت ومفصل في السيرة والتاريخ.

بين الذكر والآيات

يرد الذكر في القرآن في اكثر من معنى ويمكن ان نرى ذلك واضحا في آياتٍ عديدة متفرقة من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى ((فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا. رسولا يتلوعليكم آيات الله ... الطلاق 11

اي يتلوعليكم آيات بينات واضحات ليخرجكم من الظلمات الى النور، ونفهم من الذكر في ضوء ما تقدم من الآيات المسطورة والمنظورة انه يأتي على دلالتين اواكثر فذكرٌ صامت وذكرٌ ناطق، فأما الذكر الصامت فيدل عليه واضحا قوله تعالى ((نتلوعليك من الآيات والذكر الحكيم)). تفسيرها بالآيات المسطورة لكننا نرى ان القرآن الكريم نفسه يفسر الذكر بالرسول كما في الآية المذكورة اعلاه يعني ان هناك ذكرٌ نقرأه بآيات مسطورة وذكر نراه ونسمعه بآيات منظورة فالقرآن ذكر والرسول ذكر وان القرآن له آياته والرسول له آياته فاذا غاب الذكر الصامت بقي لنا الذكر الناطق ولهذا فالمنكرون الاعتقاد بالإمامة يقبلون الآيات المسطورة اليوم ولا يتمردون عليها ولكنهم يعرضون عن الآيات المنظورة كما في الآية ((ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا)) (طه 124) وهنا اما ان يصرح الرسول قوله تعالى الى الأمة باتباع الآيات المنظورة فيرفضونها اويقول بالتأويل المجسد بأشخاص معلومين وفي قوله تعالى ((ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه)) (الكهف 57) وقوله تعالى والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشئمة)) البلد 19. وفي قوله تعالى ((وتلك آيات الله نتلوها عليك بالحق)) (البقرة225) ففي هذه الآيات جاء لفظ الآيات مضافا الى لفظ الجلالة، وقد تقدم ان اعراب الآيات المضافة الى لفظ الجلالة الصريح اوالضمير تعطي دلالة خاصة مفادها التعظيم والتفخيم [54] . اي نسبة الآيات اليه جل وعلا لها عناية خاصة من لدنه سبحانه وتعالى والمعلوم في الاحاديث القدسية ان المؤمن افضل من الكعبة وان زوال السموات والارض بما فيها من آيات اهون على الله من اراقة قطرة دم بغير حق . وقد ورد في روايات عن اهل البيت في تفسير الآية ((مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَونُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَومِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (البقرة 106) يعني موت امام معصوم ومجيء امام بعده وفي تفسير قوله تعالى ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)) (البقرة121) عن الامام الصادق

عليه السلام ليس المقصود ان يجوّد قراءة الآية وانما حق التلاوة العمل بها وليس التحسين بقراءة القرآن كما هو متعارف عليه هذه الايام وبهذا المعنى الذي نريد ان نثبته بهذا البحث على ان الآيات هم الائمة وفي رواية سُئل الامام جعفر الصادق ع هل ذُكر اسم جدك علي القرآن قال : نعم ذُكر واضحا في قوله تعالى: ((صراط علي مستقيم)). وفي رواية اخرى سأله احد اصحابه عن الآية ((لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم)) فقال للسائل انما عنى اي الشيطان انت واصحابك الذين يعتقدون بنا اهل البيت ائمة لهم والصراط هوعلي بن ابي طالب))[55] وعند التأمل في الآية ((صراط علي مستقيم)) يختار الامام قراءة ثانيه لا يتغير معها اللفظ زيادة ونقصانا وهذا الباب من علوم القرآن وارد ومقبول في القراءات السبع فكأنما اراد الامام المصداق لا المفهوم. ولهذا يمكن ان نستوعب الروايات الواردة عن اهل البيت عليهم السلام عند ظهور الأمام الحجة عجل الله تعالى فرجه انه يأتي بقرآن جديد وفي زيارة له ((السلام على الحق الجديد السلام على العالم الذي علمه لا يبيد))[56] . على ان الآيات الناطقة في القرآن الكريم هي الباقية في كل زمان ومكان يعني تتجدد بتجدد مصاديقها وبذلك تثبت الحكمة الإلهية في القاء الحجة على المخالفين الى يوم الدين .

الآيات المقيدة بالسنة النبوية وكلام المعصوم

الآيات القرآنية يمكن ان تقيد بالسنة النبوية المطهرة وفي ذلك شواهد كثيرة منها ((وفدَّ جماعة من اهل اليمن على رسول الله فقال رسول الله (صلى الله عليه واله) قومٌ رقيقةٌ قلوبهم راسخٌ ايمانهم منهم المنصور يخرجُ في سبعين الفا ينصر خلفي وخلف وصيي فقالوا يا رسول الله ومن وصيُك فقال لهم هو الذي امركم الله بالاعتصام به حيث قال واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)) ال عمران 103 . فان وصيي هو حبل الله فقالوا يا رسول الله وما هو هذا الحبل فقال لهم هو الذي قال الله فيه : ((الا حبلٌ من الله وحبلٌ من الناس)) (ال عمران 112) والحبل من الله هو كتاب الله والحبل من الناس هو وصيي فقالوا يا رسول الله ومن هو وصيك فقال[57]: هو الذي قال الله فيه((ان تقول نفسٌ يا حسرةٌ على ما فرطت في جنب الله))الزمر 56، وصيي هو جنب الله، فقالوا يا رسول الله وما جنب الله فقال : هو الذي قال الله فيه: ((ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا)) (الفرقان 27)، وصيي هوسبيل الى الله فقالوا يا رسول الله والذي بعثك بالحقِ نبيا ارنا اياه فقد اشتقنا اليه، فقال هو الذي جعله الله آية فيه ((انَّ في ذلك لآية للمتوسمين))الحجر75، فاذا نظرُت إليه نظرَ من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عرفتم انه وصيي كما عرفتم انه وصيي فقال تخللوا الصفوح وتصفحوا الوجوه فمن هوت له قلوبكُم فهو وصيي لان الله قال فيه وفي ذريته ((فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم)) (ابراهيم 37) فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه فاخذوا بيد الأنزع البطين عليٌ امير المؤمنين، فقالوا الى هذا هوت انفسنا الى رسول الله

فقال : انتم نخبة الله حين عرفتم وصيَّ رسول الله قبل ان تعرفوه فقال لهم ايضا فبمَّ عرفتموه فرفعوا اصواتهم بالبكاء فقالوا له نظرنا الى القومِ فلم تحنَّ لهم قلوبُنا ولمّا رأيناه رجّفت قلوبُنا ثم اطمأنت انفُسنا واضطربّت اكبادنا وهملت اعيننا وانثلجت صدورنا حتى وكأنه لنا أب ونحنُ لهُ بنون، فقال الرسول (صلى الله عليه واله) وما يعلم تأويله الى الله والراسخون في العلم))[58] (ال عمران 7) وعلى هذا الاساس المتين من الواضح المبين يمكن القول على وجه الاعتقاد الراسخ بان المعنى المقيد في القرآن للآيات المذكورة ينحصر في شخص الأمام والأئمة المعصومين من ولده فهم العروة الوثقى ومقيد دلالة الكتاب المطلقة . ولطالما ذكر ابناء العامة هذا الحديث لكن بغير التقييد لمجمله في اشخاص ائمة الهدى والرحمة واهل بيت الطهارة والعصمة فهم يكتفون بالمعنى المجمل للكتاب المسطور ويتركون مقيدهُ في الكتاب المنظور الذي لابدّ ان يتأول بشخص انساني منظور معلوم تتجسّد به آيات الكتاب المسطور وتظهر في شخصه وهو الكتاب المنظور، وفي تقييد الآيات الآية ((بل هوآيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم..)) العنكبوت49 عن الامام الصادق موضحا هذه الآية قال ايانا عنى[59] وعن الامام الباقر في تقييد هذه الآية قال نحن الائمة خاصة [60]، وفي الآية ((قل هو نبأ عظيم انتم عنه مُعرضون)) عن الامام الصادق قال النبأ العظيم هي الامامة . وفي الآية ((قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)) (الرعد43) عن الامام الصادق قال عندنا نحن واشار الى صدره[61]. وعن الامام الباقر في تقييد الآية نفسها قال هو علي بن ابي طالب[62]. وهذا التفسير مأثور عن الامام امير المؤمنين عليه السلام . ويمكن التعبير الامثل لهذه المستويات الدلالية للنبأ العظيم بالمجمل في الآية ((قل هو نبأ عظيم انتم عنه مُعرضون)). وبالمُفصل في الآية ((عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون))اول النبأ اما تقييدُها فقد جاء مأثورا على لسان الأئمة المعصومين، فعن الامام الصادق عليه السلام في تقييد النبأ العظيم في الآية المفصلة اعلاه قال هو امير المؤمنين، كان امير المؤمنين يقول ما لله عزّ وجلّ آية هي اكبر مني ولا لله نبأ اعظم مني[63] وعن الامام الرضا سُئل عن الامام امير المؤمنين قال : قال امير المؤمنين ما لله نبا اعظم مني وما لله آية اكبر مني ولقد عُرض فضلي على الامم الماضية على اختلاف السنتها فلم تقرّ بفضلي . وهذا المعنى المقيد المجسّد للعيان يُعطي للآيات المسطورة مصاديق لأشخاصٍ منظورة الامر الذي يؤكدُ الحاجة الملحة الى القرآن الناطق المنظور في طيات الفاظ الحديث المذكور في الدعوة الى التمسك بمقيد القرآن عند استحكام فتن الزمان وهذا التقييد لا يكون حياً عند المسلمين اليوم الا بالاعتقاد الجازم والتمسك الدائم بحبل الله المتين في ولاية امير المؤمنين وامام الحق المبين، جعلنا الله واياكم من المتمسكين بحبله ودوام وصلهِ ونحن نقول الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

أن البحث في القرآن الكريم يعني الخوضَ في بحرٍ عميقٍ لا حدود له . وفي دراستي وتأملي في بعض آياته المستوعبة لهذه الصفحات اليسيرة المتقدمة تبين لي أنّ للآيات في القرآن الكريم مستوياتٍ دلاليةً متفاوتةً في مراتبها، ولا بد ان يكون للمفهوم الوارد في الكتاب المسطور مصداقٌ لها على ارض الواقع في المنظور فكان الكتاب المسطور للآيات المدونة بالأحرف وكان الكتاب المنظور بالآيات المصدقة بصور مشهودة حية . ولم يعُرف للآيات مستوى دلالي أعلى مرتبةً وأكمل مصداقاً في الوجود من الانسان المهتدي بُهداها والمطبّق لمقتضى محتواها، فالعامل المكلّف العارف بأحكامها المُنزّلة والمؤوّلة كما ينبغي لأوامرها ونواهيها تتحول الآيات به مع الزمن من مستواها الظاهر الصامت الى مستواها الباطن الناطق الحي، وبذلك يكون الانسان المؤمن هو اعظمُ آية من آيات الله . والى هذا المعنى فسر أهل البيت عليهم السلام بعض الآيات القرآنية المسطورة بالإمام المعصوم لأنه الصورة الكاملة المجسدةُ للقول بالعمل والمُشخّصةُ للمفهوم بالمصداق من أجل ان يحيا الانسان بالقرآن حياة الهدى في واقع حياته المشهود لا بالمفهوم المُعلق بالهوى، ولهذا قالوا في تفسير الآية ((مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَونُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَومِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) البقرة 106 .

ان المقصود من نسخ الآية هووفاة الامام المعصوم ومجيء الامام المعصوم الذي يلي من بعده . ولا يمنع هذا التفسير اذا كان المقصود هوالمصداق لا المفهوم، وهذا ينطبق على كل مفاهيم الآيات القرآنية المُجسدة في اشخاصهم سلام الله عليهم جميعاً، فهم عُدل القرآن ومع القرآن وثقل القرآن لا يفترقان كما ورد في الحديث الشريف المتواتر بل هم القرآن الناطق الحركي الحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الهوامش :

1- ديوان لقيط بن يعمر الأيادي ص 35
2- المصادر نفسها
3- البقرة 259
4- يونس 92 .
5- البقرة 118
6- 13 آل عمران
7- 8 الشعراء

8- – 105 الكهف، وانظر في تفسيرها، تفسير القرآن الكريم علي محمد علي دخيل، ص228

9- 18 النجم

10- الاسراء 88، وانظر مجمع البيان للطبرسي في تفسير الآية المذكورة

11- انظر الامثل لمكارم الشيرازي في تفسير الآية المذكورة

12- انظر الميزان للطبطبائي في تفسير الآية المذكورة

13- انظر تفسير ابن كثير في تفسير الآية المذكورة

14- مجمع البيان للطبرسي، ص564

15- المصدر نفسه

16- الشعراء 121، وينظر في تفسيرها الميزان للطباطبائي، ص434

17- يوسف 7، وانظر للاستزادة، الامثل مكارم الشيرازي، ص345

18- الاعراف 146، وقد ورد في الميزان ج 2، ص123تفسير الآية –: في تفسيرات باطنة للآية ((ما ننسخ .....، ان المقصود من نسخ الآية هووفاة الامام المعصوم ومجيء الامام الذي من بعده ففي الأمثل ان الامام زين العابدين عليه السلام عند تلاوة هذه الآية قال : نحن عُنينا بها)) ولا يمنع هذا التفسير اذا كان المقصود هوالمصداق لا المفهوم وهذا ينطبق على كل مفاهيم الشريعة المجسدة في اشخاصهم عليهم السلام جميعاً . وانظر التفسير الكاشف محمد جواد مغنيه– الامثل مكارم الشيرازي ، مجمع البيان للطبرسي . روي عن الامام علي بن الحسين عليه السلام قال اثناء تلاوة هذه الآية : ((نحن عُنينا بها)) فمن الجائز ان يكون قصده الآيات اي آيات الرحمن التي تُتلى بلسان الحال المجسَّد بالعمل. ويؤكد هذا المعنى رواية الامام الصادق عليها السلام : يتلونه حق تلاوته يعني العمل به الصافي للكاشاني وانظر نورا لثقلين للحويزاوي ص232 .

19- انظر الميزان للطباطبائي في تفسير الآية .

20- انظر مجمع البيان للطبرسي في تفسير الآية .

21- اللهوف في قتلى الطفوف، ص181 وما يليها، السيد بن طاووس

22- ينظر في تفسيرها الامثل : مكارم الشيرازي ص342 .

23- ينظر في ذلك الكاشف : محمد جواد مغنية، ص563 .

24- الميزان : محمد حسين الطباطبائي، ص46 .

25- المصدر نفسه .

26- المصدر نفسه.

27- ينظر، الوجيز في كتاب الله العزيز ك علي محمد دخيل ص23 .

28- ينظر، نهج البلاغة، ص123 .

29- انظر المصباح العدد 3 سنة 2010 آية الوضوء واشكالية الدلالة \ السيد علي الحسيني الشهرستاني، ص59 .

30- الكشاف للزمخشري : يقول انها استئنافية وغيره، والامثل للشيرازي يقول انها عاطفة، والتفسير الكاشف محمد جواد مغنية.

31- تفسير الامثل والميزان .

32- البرهان في علوم القرآن ج2 ص 266 للزركشي .

33- التأويل النحوي ج2 ص 13عبد الفتاح احمد الحموز.

34- علوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم طيب الله مثواه ص 267

35- المصدر نفسه .

36- نهج البلاغة خطبة 123 شرح علي محمد علي دخيل.

37- الاجمال والتفصيل في التعبير القرآني ص 203 \ سيروان عبد الزهرا الجنابي .
38- المصدر نفسة .
39- الاطلاق والتقييد في النص القرآني ص 150 سيروان عبد الزهرا الجنابي .
40- ينظر الاجمال والتفصيل سيروان عبد الزهرا الجنابي وينظر الاطلاق والتقييد سيروان عبد الزهرا الجنابي في ضوء ما ورد في هذين الكتابين من شواهد قرآنية للأجمال والتفصيل والتقييد يمكننا تقسيم الآيات اعلاه .
41- بصائر الدرجات .
42- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي تفسير الآية .
43- الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي . تفسير الآية .
44- بصائر الدرجات ص 446 .
45- بحار الانوار للعلامة المجلسي ج 36 ص 20
46- دروس في علوم القرآن،حسين جواني آراسته ص 284 .
47- المصدر نفسه.
48- تفسير العياشي .
49- نقلا عن الميزان في تفسير القرآن .
50- اصول التفسير والتأويل للسيد كمال الحيدري ص267.
51- انظر تفسير العياشي وكتاب الصافي تفسير الآية لحجر 41 .
52- الميزان في تفسير الآيات .
53- الصافي في تفسير القرآن للفيض الكاشاني .
54- عمدة الزائر في الادعية والزيارات ص 322 \ السيد حيدر الحسني الكاظمي، وانظر مفاتيح الجنان في زيارة الامام الحجة .
55- انظر تأويل الآيات الظاهرة ص 12 السيد الغروي الاسترابادي.
56- انظر في احقاق الحق نور الله التوستري .
57- بصائر الدرجات ج1 ص406 .
58- المصدر نفسه ص 416
59- المصدر نفسه ص417
60- كتاب الصافي في تفسير القرآن الكاشاني في تفسير الاية .
61- انظر، تفسير القمي في تفسير الاية المذكورة ص 67و68.

المصادر والمراجع

1- **القرآن الكريم .**

2- الاجمال والتفصيل في التعبير القرآني ودراسة الدلالة القرآنية – سيروان عبد الزهرة الجنابي – مطبعة النماء – الطبعة الاولى بغداد 1431 هج –2010 م .

3- احقاق الحق وازهاق الباطل – القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التُستري – المكتبة الإسلامية – طهران .

4- اصول التفسير والتأويل – السيد كمال الحيدري – دار فراقد – الطبعة الثانية – مطبعة سَتَار – ايران .

5- الاطلاق والتقييد في النص القرآني، سيروان عبد الزهرة الجنابي، مطبعة النماء – الطبعة الاولى 1432 هج – 2011 م

6- الامثل في تفسير القرآن المُنزّل – ناصر مكارم الشيرازي، المطبعة اميران – الناشر مدرسة الامام علي بن ابي طالب – المطبعة الثانية 1429 هج 2009 م

7- بحار الانوار – الشيخ محمد باقر المجلسي، الاميرة للطباعة والنشر، الطبعة الاولى 2008 م 1429 هج بيروت لبنان .

8- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم – دار المعرفة – بيروت 1391 هج .

9- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، ابوجعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار المتوفى 290 هج من اصحاب الامام الحسن العسكري عليه السلام، تحقيق السيد محمد السيد حسين المعلم . الطبعة الاولى، مطبعة الشريعة 1384 – 1426 هج.

10– التأويل النحوي في القرآن الكريم – عبد الفتاح احمد الحموز . مكتبة الرشيد، الطبعة الاولى – 1404 هج – 1984 م .

11- تاج العروس الزبيدي . بيروت – لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر 1994م

12- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين الاستربادي الغروي، تحقيق شيخ محمد صادق ناجي،دار الجوادين \ بيروت – لبنان الطبعة الاولى 1433 هج –2012 م .

13- تفسير الجلالين للسيوطي – جلال الدين محمد احمد المحلي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي – دار الفكر للطباعة والنشر – الطبعة الاولى 1426 – 1427 هج .

14- تفسير العياشي : ابوالنظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السرمقندي المعروف بالعياشي توفي سنة 340 هج، طهران، المكتبة العلمية الإسلامية .
15- تفسير القرآن العظيم، ابوالفداء عماد الدين بن كثير القرشي الدمشقي توفي 774 هج، مطبعة الاستقامة – القاهرة 1956 م .
16- تفسير القمي . علي بن ابراهيم بن هاشم القمي، مؤسسة دار الكتاب –للطباعة والنشر . قم المقدسة، الطبعة الثانية .
17- التفسير الكاشف . محمد جواد مغنية . دار الكتاب الإسلامي . مطبعة سَتَار، قم المقدسة .
18- تفسير كلمات القرآن .
19- دروس في علوم القرآن – حسين جَوَان اراسته – تعريب خليل العصامي، مطبعة زلال كوثر، الطبعة الثالثة 1435 هج . ايران – قم المقدسة .
20- ديوان لقيط بن يعمر الأيادي – رواية ابي المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي – تحقيق وتعليق وتقديم خليل ابراهيم العطية، وزارة الاعلام – مديرية الثقافة العامة .
21- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة ابي الفضل سهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي – دار احياء التراث العربي . بيروت – لبنان 1421 هج – 2000 م .
22- الصحاح – اسماعيل بن حماد الجوهري، بيروت – لبنان – دار العلم للملايين .
23- علوم القرآن – السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة شهيد المحراب، النجف الاشرف، الطبعة الاولى 1426 هج – 2005 م .
24- عمدة الزائر في الادعية والزيارات _ السيد حيدر الحسني الكاظمي – دار التعارف، بيروت – لبنان 1979 م .
25- كتاب الصافي في تفسير القرآن – مولى محسن الكاشاني، تحقيق السيد محسن الحسيني الاميني . دار الكتاب الإسلامية 1429 هج – 1387ش ق
26- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل – جار الله محمود الزمخشري – مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي 1969 م .
27- اللهوف في قتل الطفوف السيد بن طاووس مكتبة مدرسة الفقاهة دار المحجة البيضاء 1266 م .
28- لسان العرب – ابوالفضل جمال الدين محمد بن مُكرّم بن منظور الافريقي المصري، دار صادر للطباعة والنشر 1956 م .

29- مجمع البيان في تفسير القرآن – ابوعلي الفضل بن الحسن الطبرسي بيروت – لبنان دار احياء التراث العربي 1995 م.
30- مفاتيح الجنان الشيخ عباس القمي دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان .
31- الميزان في تفسير القرآن – السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الامام المنتظر، الطبعة الاولى – 1425 هج .
32- نهج البلاغة – الامام علي بن ابي طالب، جمعه الشريف الرضي، شرح علي محمد علي دخيل، دار المُرتضى بيروت – لبنان 1432هج –2011م.
33- الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز – علي محمد علي دخيِل، دار التعارف للمطبوعات 1431 هج – 2010 م .

المجلات: المصباح العدد 3، سنة 2010 م.